ملحق خاص:
الشارقة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2014م.

الشارقة عاصمة الثقافة الإسلامية لماذا وإلى أين؟

د. عماد محمد العلي●

المقدمة :

يعود تاريخ الشارقة إلى حوالي ستة آلاف سنة ، حيث كان أهلها يعتمدون على الصيد بما فيها الأسماك والزراعة ، ثم بعد ذلك عملوا في التجارة وصناعة السفن البحرية والصيد والبحث عن اللؤلؤ والزراعة ، فقد استوطن سكان الشارقة الأوائل حول الآبار ومجرى سيول الأمطار وتجمعات مياه والواحات التي صنعها الإنسان. لكن في عام 1507م احتل البرتغاليون الساحل الشرقي ليسيطروا على مسار تجارة التوابل واللؤلؤ ولقربها من طريق الحرير ، فبنوا الحصون في خور فكان وكلباء ودبا ، إلا أن أهل الشارقة لم يرضوا على ضيم المستعمر المعتدي الذين ظلّوا في مناوشات ومعارك ضد المعتدين فضعفت شوكت البرتغاليين ، الذين استمر حكمهم لمدة قرن واحد فقط ، وهذا ما ساعد الهولنديون بالانتصار على البرتغاليين الذين استعمروا المنطقة لنفس الأسباب الآنفة الذكر ، وعلى الرغم من ذلك بقي أهل الشارقة في حالة رفض وقتال مع الهولنديين فضعفت قوة الهولنديين مما ساعد على وصول البريطانيين الى الشارقة في القرن السابع عشر الذين بدؤوا التجارة مع قبيلة القواسم أسلاف الأسرة الحاكمة اليوم في الشارقة لكسب ودّهم، إلا أن

● المعهد الدولي للدبلوماسية الثقافية

البريطانيين غزوا منطقة الخليج والبحر الأحمر باعتبارهما منطقة ربط طريق رئيسية بين الشرق الأوسط والهند ، إلا أن القواسم لم يناموا على ضيم البريطانيين حتى أصبحت قبيلة القواسم الحاكمة قوة بحرية في جنوب الخليج ، وذلك في القرن الثامن عشر، حيث تمركزت قوتهم في رأس الخيمة والشارقة ، فقد أصبح الشيخ سلطان بن صقر القاسمي والد حكام اليوم في عام 1803م شيخاً على الشارقة التي حكمها ما يزيد عن خمسين عاما ، إلا أن البريطانيين وبسبب أطماعهم في المنطقة تدهورت العلاقة بينهم والقواسم مع نهاية القرن الثامن عشر ، فقد اتهم البريطانيون القواسم بالهجوم على سفن الإنجليز ، في حين أن القواسم كانوا يتهمون البريطانيين بسوء السلوك والغدر .

إلا أنه بسبب مواقف القواسم البطولية ضد البريطانيين الذين اتعبتهم معارك وصولات القواسم عليهم ، أوقف البريطانيون هجماتهم البرية على قبيلة القواسم في رأس الخيمة عام 1809م ، وبحلول عام 1820م تم توقيع أول اتفاقية من ضمن عدة اتفاقيات للسلام تضمن السلام والأمن في البحر وحماية البريطانيين ضد الهجمات والمعارك لمدة 150 سنة ، وأصبح مشايخ ساحل عُمان معروفاً بساحل الدول المتصالحة ، وبقيت هذه الأسماء منذ عام 1853م وحتى قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1971م ، فقد انضمت الشارقة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة كعضو مؤسس للاتحاد في الثاني من ديسمبر 1971م ، وفي عام 1972 أصبح سلطان بن محمد القاسمي حاكماً للشارقة .

لماذا اختيرت الشارقة عاصمة للثقافة الإسلامية :

إن اختيار الشارقة عاصمة للثقافة الإسلامية في إطار برنامج عواصم الثقافة الإسلامية الذي تشرف عليه وترعاه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وذلك بعد مطابقتها للشروط والمعايير الاساسية للعواصم الثقافية الاسلامية التي وضعتها.

لقد حظيت الشارقة بهذا التتويج بمصادقة المؤتمر الاسلامي الرابع لوزراء الثقافة الذي انعقد بالجزائر في ديسمبر 2004 ، لما تتمتع به الشارقة من تاريخ ثقافي بارز وآثار فكرية تستحق التقدير، وذلك ضمن إطار برنامج عواصم الثقافة الإسلامية الذى تشرف عليه وترعاه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، وذلك بعد مطابقتها للشروط والمعايير الأساسية للعواصم الثقافية الإسلامية التى وضعتها المنظمة ، وحظيت الشارقة بهذا التتويج لما تتمتع به من تاريخ ثقافى واضح، وآثار مادية وفكرية تستحق التعريف والتكريم ، فالشارقة كما أسلفنا ذات عراقة تاريخية

مشرّفة لكل عربي ، وصدى علمي واسع استطاعت من خلاله أن تكون لها هذه المكانة الثقافية المتميّزة بدولة الامارات العربية المتحدة والعالمين العربي والإسلامي.

بل إن الشارقة لها إسهامات متميزة في الثقافة العربية (فالشارقة عاصمة الثقافة العربية في عام 1998) ثم عاصمة الثقافة الإسلامية (في عام 2014) والثقافة الإنسانية (وإن غدا لناظره قريب) ، من خلال اهتمام قيادتها الرشيدة بالأعمال العلمية والثقافية والأدبية والفنية لفنانيها وأدبائها ومثقفيها من مواطنين وعرب ومسلمين ، ونظراً لتوفر جامعتين عريقتين فيها ومراكز للبحث العلمي ومكتبات للمخطوطات ومتاحف ومراكز أثرية تعليمية ، جعلت الشارقة قبلة للباحثين والمهتمين في مجالات الثقافة والمعرفة والعلوم .

بل يوجد في الشارقة مؤسسات أدبية وفكرية فاعلة في مجال تنشيط الحياة الثقافية للأفراد والجماعات ، وتنظيم المهرجانات والمواسم الثقافية ، ومعارض الكتب (فقد انطلقت الدورة الأولى لمعرض الشارقة الدولي للكتاب في العام 1982) ، والرسم والعروض المسرحية وأعمال الترجمة والنشر إلى جانب اشتهارها بالعديد من المعالم الأثرية والمعمارية والحضارة الإسلامية والمدارس والمساجد والحدائق العامة ذات الصبغة الإسلامية التاريخية .

كما نعلم إن الدين في الثقافة الإسلامية ، هو المحور الأساسي الذي يدور حوله التاريخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي عند العرب قبل الإسلام وبعد ظهوره، فالدين عن الشعوب هو أهم المرتكزات الثقافية ، فهو الأخلاق والقيم والمعتقدات، أي أنه مكوّن مهم من مكونات الثقافة، وعامل مؤثر في بناء الإنسان ثقافياً وإنسانياً .

لذلك يمكن تسمية الشارقة بأمارة المساجد التي تضم مجموعة فريدة من مساجد الرحمن التي تطل على أحياء الشارقة وعمارتها لترسم أجمل اللوحات الفسيفسائية للعمارة الإسلامية، لتصبح لوحات صادقة لرؤى صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، فالذي يعيش في الشارقة أو يزورها يعيش صدى تلك الحياة الثقافية والاجتماعية أيام الدولة العباسية في دار السلام والثقافة الأندلسية في قصر الحمراء الغنية بالمحبة والسلام تلك الحياة التي أغنت الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية بالمجالات الثقافية وعلوم المعرفة ، بل كأننا في الشارقة نشاهد دار الحكمة أيام الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد.

إن الشواهد العربية والإسلامية في إمارة الشارقة غنية بالإرث الحضاري المجيد للأمتين العربية والإسلامية ، فما بين الطراز العباسي والأندلسي والفاطمي والطراز المحلي ، نجد تناغما

فريدا بين معالم ذلك الإرث مع معالم الثقافة الحاضرة ، لذلك أصبحت تلك الشواهد في الشارقة تشكل الهوية الثقافية للإمارة العربية الإسلامية .

مسيرة إمارة الشارقة الى أين :

تقوم الشارقة بإبراز الموروث العمراني الإسلامي والعربي في مبانيها وصروحها الثقافية والعمارة الحكومية ، والمساجد (تضم الشارقة حوالي 700 مسجد) تتميز بالعمارة الحديثة الممزوجة بالعمارة التاريخية الزاخرة كالقباب والأعمدة والزخارف، في الوقت الذي تحرص فيه إمارة الشارقة على إلقاء الضوء على العمارة الإسلامية وتراثها العمراني من خلال نخبة من الفعاليات والمهرجانات ، أبرزها مهرجان أضواء الشارقة الذي تنظمه الهيئة سنوياً ، ليُلقي بتصاميم الأضواء والألوان المتجانسة والزاهية على واجهات عدد من مباني وصروح الإمارة ، التي تعكس جماليات تلك التفاصيل العمرانية ، إلى جانب أيام الشارقة التراثية وغيرها من الفعاليات العالمية التي تجذب عشرات آلاف الزوار والسياح في كل عام .

أما بالنسبة لدور الطابع المعماري الإسلامي الأصيل ومبانيها في تعزيز هويتها ، والتي حرصت على إبراز الطابع الإسلامي في الفن المعماري الذي يعكس تأصيل فن العمارة الإسلامية وانعكاساته على أنماط الفن المعماري لمباني الإمارة ، والذي يتطلب التوقف عند دور الثقافة الإسلامية وأثرها على الإبداع الإنساني ومقوماتها الثقافية .

إن العمارة الإسلامية في الشارقة تعد لوحة إسلامية متميّزة عن سواها من المدن ، والتي تؤكد حرص صاحب السمو حاكم الشارقة في الحفاظ على هوية ثقافية متميزة للإمارة تمثل امتداداً للحضارة العربية الإسلامية ، لتكون الشارقة عاصمة إسلامية حقيقية ، فهي تجمع بين العراقة والحضارة والأصالة والرقي .

إن الاهتمام بالمظهر الحضاري الإسلامي والتراثي في إمارة الشارقة لا يمثل مظهرا شكليا فقط ، بل يمتد إلى جوانب الثقافة والحضارة الإسلامية، التي تعزز في الأجيال القادمة انتماءهم لوطنهم وثقافتهم وتراث أمتهم ، فضلاً عن الدور السياحي الذي يستقطب عشرات آلالاف من السياح الأجانب ومئات الآلاف من الزوار العرب ، الذين يتوافدون عليها لالتقاط الصور المختلفة للعمارة الإسلامية الجميلة كمساجدها ومبانيها الرسمية والتراثية التي تخدم الاقتصاد المحلي في الشارقة .

لقد غدت إمارة الشارقة مصدر جذب سياحي وثقافي فريد يجمع الأصالة والحداثة في المنطقة

العربية والعالم ، بل أصبحت منارة حضارية تنشر للعالم رسائل الثقافة، والتراث العربي الأصيل والبيئة العربية الجميلة ، فهذه العوامل وفرت الانطلاق لمواكبة العصر الحديث وتحقيق أهدافها في التنمية .

إن متاحف الشارقة (وعددها 22 متحفاً تشمل التاريخ والتراث والعلوم والحياة البحرية) تلعب دوراً كبيراً في تعريف وتثقيف زوارها من الداخل والخارج من خلال المقتنيات الأثرية والتراثية والثقافية والعلمية التي تعرضها ، علما أن متحف الشارقة للآثار أول متحف متخصص في الآثار على مستوى مجلس التعاون الخليجي عند تأسيسه عام 1993 ، لذلك خرجت متاحف الشارقة عن دورها التقليدي إلى روافد ثقافية مفتوحة لكل أفراد المجتمع الإماراتي والزوار من جميع أنحاء العالم واستضافة أعمال الفنانين والمعارض العالمية .

تقدم متاحف الشارقة مجموعات من الفعاليات الإسلامية التي تتناسب والحدث كونها عاصمة الثقافة الإسلامية لتنشر الثقافة والفنون التراثية والعربية والإسلامية . لتستمر إمارة الشارقة ، في عطائها الثقافي الفريد ، مستندة إلى تراثها الوافر في بناء مشهد ثقافي وفني زاهر بالحياة ، فيتعانق فيها الشرق مع الغرب في تمازج ثقافي فريد .

إن اختيار الشارقة عاصمةً للثقافة الإسلامية لعام 2014م من قبل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ما هي إلا تتويجاً لجهود مستمرة طوال العقود الأربعة الماضية في بناء صرح ثقافي عربي واسلامي بارز بأيدي شعب الإمارات ، لتتحول من خلاله إمارة الشارقة إلى منارة للثقافة العربية الإسلامية في الخليج العربي والوطن العربي الكبير .